الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر

ورقة عمل مقدمة ضمن فعاليات ملتقى

(ثقافة المرأة في الخليج)

في الفترة من ٤-٧ مايو ١٩٩٦م

إمارة الشارقة

إعداد

د. سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي

آل سعود

ⓗ سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سارة بنت عبد المحسن بن جلوي

الثقافة الاسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر. – الرياض

٨٣ ص ؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك ٧-٣٥٤-٢٠-٩٩٦٠

١ ـ الثقافة الاسلامية. أ- العنوان

ديوي ٢١٤ ١٨/٣٦٥٧

رقم الإيداع : ١٨/٣٦٥٧

ردمك: ٧-٣٥٤-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ/١٩٩٨م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَال تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

سُورَة الأنعَام ١٥٣

مفهوم الثقافة

لكل أمة مفهومات أساسية خاصة بها، تحرص عليها، وتسعى إلى ترسيخها وتثبيت جذورها في شتى المجالات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وتعمل على المحافظة عليها والاهتمام بها، وتأصيلها في أبنائها؛ ومن ثم إيصالها إلى الآخرين باستخدام الوسائل المتاحة كلها.

هذه المفهومات هي ما يمكن أن نطلق عليه اسم (الثقافة).

ومن المعلوم بداهة أن الثقافات تتعدد، وتختلف باختلاف المبادئ والتصورات لدى الأمم؛ وبالتالي فيمكننا القول: إن الثقافة هي:- حصيلة مقومات شتى، تكون في النهاية صورة معينة، وشخصية خاصة لأي أمة؛ بما تحمله من تصورات، وأفكار، وآمال، وتطلعات كلها.

وإذن: فثقافة الأمة هي التي تصوغ شخصية الإنسان، بمقوماته المادية والروحية والفكرية. لكونها تجمع عناصر تراكمية في تأريخ الأمة الاعتقادي والسياسي والاجتماعي.

يقول الأستاذ عمر عودة الخطيب في تعريفه للثقافة:-

(هي الصورة الحية للأمة، فهي تحدد ملامح شخصيتها،

وتوأم وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار)[1].

هذا هو المفهوم العام للثقافة.... أما مفهومها الخاص فيمكن استخلاصه من التعريف اللغوي، والاصطلاحي لها.

١- الثقافة في اللغة

ذكرت معاجم اللغة العربية أن: كلمة (ثقافة) مشتقة من الفعل (ثقف) الذي يعطي معاني كثيرة منها على سبيل المثال:- الحذق، الفطنة، الذكاء، سرعة أخذ العلم وفهمه، تقويم المعوج من الأشياء، إدراك الشيء والظفر به ومنها قوله تعالى: ﴿ اقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾، والتهذيب والتأديب.

وهكذا تجتمع في المثقف غالباً كثير من هذه المعاني المذكورة.

ويرى البعض بأن أصل كلمة ثقافة مشتقة من الأصل

اللاتيني لكلمة (CULTURE) التي تفيد معنى: الفلاحة والزراعة.

٢- الثقافة في الاصطلاح

معناها الاصطلاحي أوسع بكثير من معناها اللغوي، مما يبرز صعوبة في إيجاد تعريف جامع لها. فقد اختلفت التعريفات الاصطلاحية لها باختلاف توجهات المعرفين وتخصصاتهم العلمية، وبيئاتهم، مما أدى إلى جعل تلك التعريفات لا تغطي الأبعاد المختلفة لمعنى الثقافة، أو مفهوماتها.

فنجد (هنري لاوست) يعرف الثقافة بأنها: (مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة، تمتاز عن سواها). وهذا التعريف كما نرى قد اقتصر على الجانب الفكري والخلقي.

في حين يعرفها (ماثيو أرنولد): بأنها (محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن مافي الفكر الإنساني مما يؤدي إلى رقي البشرية). وهذا التعريف اقتصر

على الجانب الفكري فقط.

ويبقى تعريف (مالك بن نبي) هو أقرب التعريفات لمفهوم الثقافة الشامل - في نظري وإن كان هذا التعريف قد اقتصر على الجانب الخلقي والاجتماعي - حيث يقول: بأنها (مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه)...[٢]

أما المفهوم الإسلامي للثقافة الحقيقية فهو:

مجموعة المعارف والتصورات، والمقومات الفكرية، والخلقية، والعلوم النظرية، التي تدور في فلك الإسلام، والمبنية على أسس عقدية وتشريعية قوية، تشكل شخصية الفرد وعقليته، وتسبغ عليها طابعاً مميزاً، يستقيم معه اعتقاده، وفهمه، وعمله، وسلوكه، وخلقه، ويصح بها تصوره للحياة، والعالم، والعصر؛ فيستوعب جوانب الثقافة الجادة السليمة، التي تفيد الفرد بصورة عملية تؤهله للتفاعل مع بيئته، ومجتمعه، وعصره، وتعينه على مواجهة

مشكلات حياته وحلها بتوازن داخلي، وأصالة انتماء، دون أن يعاني من تناقض، أو فصام بين واقعه وقناعاته.

فهل هذا يعني أن الثقافة لها دين؟ أو أنها تراث إنساني مشترك؟

إن حكاية أن (الثقافة تراث إنساني) لا وطن له، ولا جنس، ولا دين، هي حكاية صحيحة عندما تتعلق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العلمية- دون أن تجاوز هذه المنطقة إلى التفسيرات الفلسفية (الميتافيزيقية) لنتائج هذه العلوم، ولا إلى التفسيرات الفلسفية لنفس الإنسان ونشاطه وتأريخه، ولا إلى الفن والأدب والتعبيرات الشعورية جميعاً. ولكنها فيما وراء ذلك إحدى مصائد اليهود العالمية، التي يهمها تمييع الحواجز كلها- بما في ذلك، بل وفي أول ذلك حواجز العقيدة والتصور- لكي ينفذ اليهود إلى جسم العالم كله، وهو مسترخ مخدر.

إن الإسلام يعد أن هناك -فيما وراء العلوم البحتة وتطبيقاتها العملية- نوعين اثنين من الثقافة:

الثقافة الإسلامية القائمة على قواعد التصور الإسلامي،

والثقافة الجاهلية القائمة على مناهج شتى ترجع كلها إلى قاعدة واحدة.. قاعدة إقامة الفكر البشري إلهاً لا يرجع إلى الله في ميزانه.

إن حكاية فصل (العلم) عن (صاحب العلم) لا يعرفها الإسلام فيما يختص بالعلوم كلها المتعلقة بمفهومات العقيدة المؤثرة في نظرة الإنسان إلى الوجود، والحياة، والنشاط الإنساني، والأوضاع، والقيم، والأخلاق، والعادات.

إن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم، أو عن غير التقي من المسلمين في العلوم البحتة، أو الطبيعة، أو الفلك، أو الطب، أو الصناعة، أو الزراعة، أو الأعمال الإدارية والكتابية.... وذلك في الحالات التي لا يجد فيها مسلماً تقياً يأخذ عنه في هذا كله، - كما هو حال معظم المسلمين اليوم- ولكنه لا يتسامح في أن يتلقى أصول عقيدته، ولا مقومات تصوره، ولا تفسيرات قرآنه، وحديثه، وسيرة نبيه ﷺ، ولا منهاج تأريخه، ولا نظام حكمه، ولا منهاج سياسته، ولا موجبات فنه وأدبه وتعبيره، من مصادر غير إسلامية، ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه في شيء من هذا كله.

ومن ثم يكون من الغفلة المزرية الاعتماد على مناهج الفكر الغربي، وعلى نتاجه كذلك في الدراسات الإسلامية. ومن ثم تجب الحيطة كذلك في أثناء دراسة العلوم البحتة من أية ظلال فلسفية تتعلق بها، لأن هذه الظلال معادية في أساسها للتصور الديني جملة، وللتصور الإسلامي بصفة خاصة، وأي قدر منها يكفي لتسميم الينبوع الإسلامي الصافي.

ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة مقومات الثقافة الإسلامية الأصيلة لاعتمادها، ومعرفة مقومات الثقافة المعاصرة وبالأخص الثقافة الغربية لقوة تأثيرها في الفكر الإنساني المعاصر، لاختيار المناسب منها، وطرح مالا يتفق مع قيمنا الإسلامية الأصيلة.

ولنرى مدى تحقق المفهوم الإسلامي للثقافة على الواقع الذي يعيشه مسلمو هذا العصر، حيث يجدون أنفسهم أمام ثقافتين مختلفتين اختلافاً كلياً في مقوماتها، ومصادرها، وأهدافها، فإن هذا يقتضي منا أن نعرج بصورة عاجلة على مقومات كلتا الثقافتين، وما بينهما من علاقة تأثير وتأثر.

أولاً - مقومات الثقافة الإسلامية

للثقافة الإسلامية دور عظيم في بناء الشخصية الإنسانية، وتحديد معالمها، لتكون شخصية فاعلة متفاعلة في الحياة، ولتقوم بدورها في عملية إعمار الأرض، وتحقيق الخلافة فيها، وحمل الأمانة: أمانة التكليف، وأمانة القيام بالمسؤولية ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ (سورة الأحزاب: آية ٧٢).

ولأجل أن تقوم الثقافة الإسلامية بدورها الإيجابي الفعال، كان لابد أن ترتكز على مقومات ثابتة لا تتغير بتغير المكان، ولا الزمان، ولا الظروف، ولا الأشخاص؛ بل تكون مناسبة للناس جميعاً، مراعية للفروقات الفردية بينهم، والظروف الاجتماعية والبيئية التي يعيشونها، بحيث تقدم لهم نظام حياة شامل متكامل، يغطي جوانب تكوينهم الروحي، والمعنوي، والمادي، بصورة تحقق أقصى درجات التفاعل والإيجابية بين المسلم والعصر الذي يعيش فيه.

وهذه المطالب لا يمكن أن تحقق ألا إذا استندت هذه

الثقافة إلى مصادر إلهية ربانية، واضحة المعالم، محددة الأهداف، محققة لاحتياجات الإنسان، موافقة لفطرته.

وقد ارتكزت الثقافة الإسلامية إلى جملة مقومات تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية والتأثير، ولكنها متماسكة فيما بينها بحيث يقدم اتحادها ثقافة شاملة متكاملة، وهذه المقومات هي:

١- القرآن

فالقرآن بما يتضمنه من عقائد تحرر العقل من الخرافة، وتحرر الإنسان من الخضوع للهوى، ومن الخضوع للطاغوت، وتجيبه عن الأسئلة الكبرى في هذا الوجود: أصله، وغايته، ووظيفته، ومصيره.

وكذلك ما يتضمنه القرآن من عبادات تربط المخلوق بالخالق بعلاقة الحب والخشية، وما فيه من نظم وتشريعات تنظم شبكة العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية في المجتمع الإسلامي، وبينه وبين المجتمعات غير المسلمة. وما فيه من مثل أخلاقية تهذب الإنسان وتضبط مشاعره، وتصوراته، وأقواله، وأعماله.

وما تقدم كله منسجم مع فطرة الإنسان لأنها من خلق اللّه، كما أن القرآن من عند اللّه، وهكذا يصبح القرآن مصدر التلقي للمسلم في جوانب حياته كلها ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾**﴾ (سورة المائدة: آية ١٥-١٦).

فقيمه ثابتة، ومبادئه واضحة، ومعاييره لا تتغير، تتعامل مع الإنسان روحاً، وفكراً، وجسداً، دون إفراط ولا تفريط؛ تربي الإنسان لينشأ قوياً ثابتاً في كل ميدان يخوضه، قوياً في روحه، قوياً في عقله، إيجابياً في حياته، مرتبطاً بربه في كل شأن من شؤون حياته.

وبذا، كان القرآن الكريم المصدر الأول للثقافة الإسلامية، وجوهرها، والرافد الذي يمدها بالقوة، والعزة، والمناعة، والتميز، لتكون لها سمتها المستقلة التي تميزها عن سائر الثقافات الإنسانية(٣).

٢- السنة النبوية

السنة في اللغة هي: الطريقة، وقيل: السيرة، حميدة كانت، أو ذميمة.

أما في الاصطلاح الشرعي فهي: ما صدر عن الرسول ﷺ من: الأقوال، والأفعال، والتقريرات [(٤)].

وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، مكملة له، شارحة لمعانيه، مفصلة لما أجمل فيه، أو مقيدة لما أطلق فيه. فهي بيان له قال تعالى ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(سورة النحل: آية ٤٤).

ومن هنا كانت مصدر الحكم الإلهي الملازم للقرآن ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾(سورة النور: آية٥٤).

ويتمم ذلك سيرة الرسول ﷺ بما تقدمه للمسلمين من صورة شاملة لحياة تحققت فيها أبعاد الكمال الإنساني بمعانيه

كلهـا، فقـد جاءت حيـاته ﷺ مطبـقة لما يدعـو إليه جـملة وتفـصيلاً، مـجسـدة لآيات القرآن الـكريم قولاً، وعـملاً، وخلقاً وسلوكاً؛ فـكانت سيرته ﷺ نموذجاً مثـالياً، وصورة رائعة حققت في أرض الواقع الإنساني القدوة التي يحتاجها الناس في حياتهم العملية في كل زمان، ومكان يفتقدون فيه القدوة ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ (سورة الأحزاب: آية ٢١).

وهذا التمـثيل الرائع لما ينـبغي أن يكون عليـه الإنسان، والمتحقق في سنة المصطفى ﷺ وسيرته، كـان المصدر الثاني للثقافة الإسلامية، والذي يمدها بالقوة والثبات (٥).

٣- الفقه الإسلامي

الفقه في اللغة: بمعـنى الفهم قال تعالى ﴿ **مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ**﴾ (سورة هود: آية ٩١).

وفي الاصطلاح: العلم بـالأحكام الشـرعيـة العـمليـة المستمدة من أدلتها التفصيلية .

وآلته.. اجتـهاد الفقهـاء في مصادر التشريـع الرئيسة: الكتاب، والسنة، والقياس، والإجماع.

والفرعية: الاستحسان، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعرف، والمصالح المرسلة، والسياسة الشرعية، وغيرها.

فيجتهد الفقيه في فهم نصوص الكتاب والسنة لاستنباط الأحكام الشرعية فيها، والوقوف على علل تلك الأحكام ليقاس عليها مالا نص فيه من الحوادث والنوازل عند اتحاد العلة. وإلا فإن المصادر الفرعية المستمدة من القواعد العامة المقررة في نصوص الكتاب والسنة تكون وسيلة المجتهد في تقرير الأحام الشرعية.

وهكذا بالنص والاجتهاد يكتسب الفقه الإسلامي صفتي: الثبات الذي يحمي الشريعة من التميع، والتطور الذي يضفي على الشريعة المرونة ويحميها من الجمود والتخلف.

وإذا كان الفقه الإسلامي في العقود الأخيرة قد تخلف عن مسايرة الحياة فلأن المسلمين يعيشون مرحلة الضعف والانحسار، لا لأن الفقه قاصر عن التشريع.

٤- التأريخ الإسلامي

وهو جماع ما خلفه المسلمون من تراث عبر عصورهم المتتابعة منذ عهد النبوة إلى يومنا الحاضر. فقد اشتمل كل عصر من هذه العصور على وقائع، ومواقف تمثل مدى تفاعل المسلمين مع أحداث عصرهم الذي يعيشون فيه سلباً وإيجاباً.

لذا، فقد كان استذكار هذا التراث وفهمه ضرورة ملحة لاستكمال البناء الثقافي؛ فالتأريخ الإسلامي لا يتعامل معه على أنه عبارة عن مظاهر فكرية، أو ظواهر اجتماعية، أو أحداث سياسية بحتة، ودول سادت، وأخرى بادت.

بل هو تأريخ عقيدة، يبين لنا مدى ارتباط تقدم المسلمين بتمثل الأبعاد الحقيقية للعقيدة الإسلامية في واقع حياتهم، وفي المقابل تأخرهم، وانحطاطهم ببعدهم عن الالتزام بمنابع هذه العقيدة الأصيلة، وسطحية التزامهم بها.

فالتأريخ عبرة، يضفي على الثقافة الإسلامية بعداً معنوياً في ضرورة الالتزام بالأصالة، والانتماء إلى الماضي، بما يغذي الروح الإسلامية، ويقوي فاعليتها في الحكم على

الحاضر، وبناء المستقبل، فيتحقق البعد المادي لدراسة التأريخ، والإفادة منه. ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾(سورة آل عمران: آية ١٣٧-١٣٨).

٥- اللغة العربية

تمثل اللغة أياً كانت إحدى مقومات الأمة الأساسية، فهي الوسيلة للتفاهم بين أفرادها، وهي الطريق لنقل أفكارها ومعارفها، وبها تتميز شخصية الأمة، وتظهر أصالتها.

واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(سورة يوسف: آية٢).

ولارتباط اللغة العربية بمصدر الإسلام الأول، كان لها وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية؛ فهي لسان الإسلام، والقالب الذي تجسدت فيه معجزة القرآن الكريم اللغوية الخالدة، ومن هنا فقد أجمع العلماء على أن القرآن لا يترجم بنصه، وإنما يترجم معناه، ولا يطلق على الترجمة قرآناً، ولاتأخذ حكمه.

فكانت اللغة العربية الطريق إلى فهم القرآن، والسنة

النبوية، حتى قرر العلماء أن تعلمها واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(٦).

وبذا، أصبحت اللغة العربية مصدراً مهماً للثقافة الإسلامية، فلا يفهم المسلم الدين، ولا يدرك مقاصده إلا عن طريقها، وهي في الوقت ذاته أداة مثلى لنشر الثقافة الإسلامية، لأنها لغة القرآن التي جمعت بين أجناس وشعوب ووحدت بينها تحت راية الإسلام(٧).

ثانيا.. مقومات الثقافة المعاصرة:

إن المتأمل في صفة الحضارة الغربية المعاصرة يجدها تجنح بصورة واضحة إلى الاهتمام بالنواحي المادية، والتركيز عليها، دون اهتمام يذكر بالنواحي الروحية أو المعنوية؛ فالحياة قد تحولت إلى أرقام، وركض لاهث وراء معطيات الرقي الحضاري المادي الذي تحلل من القيود الأخلاقية، والمبادئ الدينية. فالنفعية، والاستغلال ، وسيطرة القوي على الضعيف، هي السمات المميزة للحضارة الغربية المعاصرة.

والواقع أن هذا الوضع لم ينشأ من فراغ، لكنه حصيلة ما

وصلت إليه الثقافة الغربية المعاصرة، والتي تعتمد في تشكيلها على خليط غير متجانس شكل في النهاية مقومات هذه الثقافة..

١- الفكر والفلسفة الإغريقية:

تأثر الفكر الغربي الحديث والمعاصر بمصادر الفكر الإغريقي اليوناني ولا يمكن إنكارها، أو تجاهلها (أفلاطون، أرسطو، سقراط، هرقليطس) فالمذاهب الفكرية، والمدارس الفلسفية المعاصرة مع اختلاف توجهاتها، وتباين غاياتها، العقلاني منها، والمادي، الديني منها، والملحد، يبدو فيها التأثر الواضح والعميق بالفكر الإغريقي، حيث استقت منه كل فلسفة الجانب الذي يناسبها. فكان له دوره البارز في تشكيل ملامح الثقافة الأوروبية الحديثة والمعاصرة، بصورة جعلته أحد مقوماتها الرئيسة(٨).

٢- التفسيرات النصرانية:

للدين أياً كان أثره الفعال في انبعاث الحضارة الخاصة بأي أمة من الأمم، والتعبير عن شخصيتها؛ والثقافة الغربية المعاصرة تحمل الروح النصرانية في أعماقها، وطابعها، حتى

أصحاب الفكر الوضعي، وغير الديني، والفلسفات المادية، لم تستطع أن تغفل البعد الديني؛ فمثل هذه التوجهات لم تأت من فراغ، وإنما كانت نتيجة لأوضاع معينة، ومفهومات خاصة عن الدين؛ بل هي رد فعل عنيف للأوضاع الدينية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، وتأثير التراث اليهودي على الفكر الأوروبي.

يقول الشاعر الفيلسوف (ت.س. اليوت) في كتابه (ملحوظات نحو تعريف الثقافة):- (إن القوة الرئيسة في خلق ثقافة مشتركة بين شعوب لكل منها ثقافتها المتميزة هي الدين) ويضيف: (أنا أقرر حقيقة، ولست شديد الاهتمام بوحدة المسيحيين اليوم، وإنما أنا أتحدث عن سنن المسيحية المشتركة التي جعلت أوروبا على ما هي عليه اليوم).

ويقول في موضع آخر: (في المسيحية نمت فنوننا، وفي المسيحية تأصلت -إلى عهد قريب- قوانين أوروبا. وليس لتفكيرنا كله معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي. وقد لا يؤمن فرد أوروبي بأن العقيدة المسيحية صحيحة، ولكن كل ما يقوله ويفعله ويأتيه من تراثه في الثقافة المسيحية، ويعتمد في معناه على تلك الثقافة. ما كان يمكن أن تخرج فولتير أو

نيتشه إلا ثقافة مسيحية، وما أظن أن ثقافة أوروبا يمكن أن تبقى حية إذا اختفى الإيمان المسيحي اختفاء تاماً، ولا يرجع اقتناعي بذلك إلى كوني مسيحياً فحسب، بل إني مقتنع به أيضاً بوصفي دارساً لعلم الأحياء الاجتماعي) . وينتهي إلى القول: - (إذا ذهبت المسيحية فستذهب كل ثقافتنا. وعندئذ يكون عليك أن تبدأ البداية المؤلمة من جديد).

٣- المذاهب المعاصرة:

تعددت المذاهب الفكرية، والتوجهات الفلسفية في الغرب بين: الاتجاه العقلاني (كانت، ديكارت، باسكال، سبينوزا) الذي يجعل العقل هو الحاكم على الأشياء، والمصدر الوحيد لتلقي المعرفة، وطريق استنباط العلوم؛ والمذهب التجريبي (لوك، وهيوم) الذي يعتمد على الحس والتجربة ويجعلهما أساساً للمعرفة والعلم، والمادية الماركسية التي ركزت على الاقتصاد وجعلته محور الحياة؛ والوجودية (كير كيجارد، هيدجر، سارتر) التي ركزت على الوجود الإنساني، وأزمة وجود الفرد في مواجهة مصيره خارج دائرة المجتمع والتأريخ، مركزة اهتمامها على الذات أو (الأنا)- على وجود الإنسان الماهوي لا على وعيه،

والبراجماتية(وليم جيمس، جون ديوي) التي تؤكد نسبية الحقيقة واستحالة اليقين في هذا العالم. وقبل ذلك كله إنسان نيتشه المتفوق الملحد[٩].

هذه التوجهات الفكرية، والمذاهب الفلسفية المتأثرة بالروح النصرانية، والأصول الإغريقية شكلت بمجموعها ملامح الفكر الغربي المعاصر، الذي جعل همه مركزاً على (الكم) و (النسبية)، والاهتمام المفرط بالنواحي العلمية البحتة، والمكاسب المادية الخالصة، والركض اللاهث في طريق التقدم الحضاري المادي، الذي أسقط فيه كل بعد أخلاقي، أو معنى إنساني، أو اهتمام ديني.

فكان أن أورثت الثقافة الغربية المعاصرة الإنسان الغربي الانحراف الخلقي، والضياع الذاتي، وقبل ذلك كله الخواء الإيماني، وما نتج عنه من فراغ روحي جعل القلق النفسي، والاضطراب الفكري، والأنانية هي سمة حياته الملازمة له. وقد عبر عن ذلك كله (س. رايت. ميلز C.Wright mills) في قوله: (إن زماننا لهو زمان القلق، وعدم الاهتمام واللامبالاة بصورة لا تسمح للعقل أن يفعل مفعوله الهادئ، ولا تسمح للحياة، أو الشعور الرقيق النبيل أن

يفعل مثله).

أما الدكتور (مراد هوفمان) [١٠] فيقول في تصويره لحالة المجتمع الغربي المعاصر: (لقد غدت هذه الجماهير العريضة نتيجة ممارستها الواقعية للذاتية، وللنسبية تعيش نوعاً من الإلحاد الساذج المسطح الأبعاد، متمثلاً في عبادة آلهة جديدة هي: السلطة، والثراء، والجمال، والشهرة والجنس. لقد رضي هؤلاء (الملحدون بالممارسة) الاطمئنان والركون إلى العلوم الطبيعية عوضاً عن الدين الذي أقصته أو هجرته)[١١] . ويبين الدكتور (هوفمان) كيف انقلبت معاني بعض القيم لتتحول إلى معان أخرى تناسب طبيعة الثقافة الغربية المعاصرة: فالإخاء تحول إلى سلوك جمعي غير منفعل، وحق تقرير المصير إلى فوضى خلقية، وحرية الفكر وعدم التحيز إلى إباحية مطلقة، والتسامح والسماحة إلى حيدة القيم، والتنافس المشروع إلى جنون الاستهلاك والحرص على متاع الدنيا، والمساواة إلى التسوية الآثمة التي لا تميز بين الخبيث والطيب، والغث والسمين، والمرونة إلى عداء أعمى للتراث أو لكل ماهو تقليدي، والشهوة المشروعة إلى جنون الجنس[١٢] .

أما الفيلسوف الإنجليزي (برتراند راسل B.Russell) فيقول في وصفه لحضارة اليوم: (إن الحضارة الحديثة أهملت الاهتمام بالروح).

وخلاصة الأمر.. إن الثقافة الأوروبية إنما تبلورت وأخذت ملامحها وسماتها من خلال المجتمع الأوروبي عبر عصوره التأريخية، وكانت فحواها استجابة لحركة هذا التأريخ[١٣].

العلاقة الجدلية بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية في الماضي والحاضر

تسير الثقافة في حياة الأمة مع حركة الحياة فيها، لأنها الصورة الحقيقية لشخصية هذه الأمة، أو تلك، فإذا تعرضت حركة الحياة إلى تغيرات داخلية أو خارجية انعكس ذلك بصورة واضحة على ملامح ثقافتها، سلباً أو إيجاباً، وفق قوة هذه الثقافة وأصالتها، ومدى تأصلها في نفوس أبنائها، ومدى قوة التغيرات الطارئة عليها. فإن كانت الثقافة قوية أصيلة استطاعت أن تستوعب هذا التغير داخلياً كان، أم خارجياً وتصهره في بوتقة مكوناتها بحيث تستفيد منه من خلال عملية انتقاء واعية؛ وإن كانت ضعيفة أو مهزوزة، انصهرت هي في خضم تلك المتغيرات والمستجدات، وذابت ملامحها لتتحول إلى ثقافة تبعية، تسير في طريقها إلى الاضمحلال والزوال حتى تنتهي، وهذا ما يؤكد خطر الثقافة في حياة الأمم قديماً وحديثاً.

والحقيقة أن العلاقة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية ليست حديثة عهد، بل هي تمتد إلى عصور بعيدة في التأريخ، وبالتحديد إلى عهد ازدهار الثقافة الإسلامية، حين

كانت هذه الثقافة -الإسلامية- مهيبة في سلطانها وسياستها، متقدمة لركب الحضارة الإنسانية، حاملة بيدها مشعل الهداية، والنهضة، والتقدم بمناحيه جميعها: العلمي، والأخلاقي، والسياسي، والاجتماعي، والديني قبل ذلك كله.

في تلك العصور تمكنت الثقافة الإسلامية بمقوماتها الثابتة والصالحة لكل زمان ومكان أن تستوعب الحضارات، والثقافات المعاصرة لها، وتصهرها فيها من خلال عملية انتقاء دقيقة، أخذت فيها من تلك الثقافات، والحضارات ما يناسب أصولها العقدية وأحكامها التشريعية، ويعينها على مواصلة تقدمها الحضاري، وفرضت لغتها العربية لتحل محل كثير من اللغات المعاصرة لها - كاللغة الآرامية، واللغة القبطية-، فكانت بلاد المسلمين هي مركز العلوم والتقدم الحضاري في العالم أجمع؛ فالمسلمون في عهد ازدهار الثقافة الإسلامية اعتمدوا العقيدة الإسلامية أساساً لثقافتهم، وفي الوقت ذاته قاموا بدراسة الثقافات الأخرى - غير الإسلامية- للانتفاع بما فيها من معان عن الأشياء، والحياة، لا لاعتناق ما فيها من أفكار. ومن هنا فقد كان دورهم يقوم

على الانتفاع والتأثير، لا التأثر والانصهار في تلك الثقافات المحيطة.

في هذا العصر الذي بلغت فيه الثقافة الإسلامية أوج ازدهارها - عصرها الذهبي- كان الغرب الأوروبي يرزح تحت وطأة قرونه المظلمة، التي قضت فيها الكنيسة على كيان الإنسان الروحي والمادي ووقفت في وجه العلم، وحاربت العلماء. فكان أن توجهت أنظار الغرب الأوروبي إلى بلاد الإسلام وبالأخص إلى الأندلس، التي أصبحت قبلة أنظار طلبة العلم والمعرفة الذين توافدوا إليها من جميع أقطار المعمورة وبخاصة بلاد أوروبا؛ وبدأت أوروبا تستمد بذور نهضتها من علماء المسلمين. فقد وجد الأوروبيون في أصول الثقافة الإسلامية من القيم والمبادئ، والأسس العقلية والفكرية ما يفتقدونه في واقعهم المعاش.

وتحت وطأة الانبهار والتأثر بالثقافة الإسلامية قامت دعوات الإصلاح الديني، والاهتمام بالعلم، والوقوف في وجه الإمبراطوريات الأوروبية، لتبدأ بوادر النهضة الثقافية الأوربية التي أرادت أن تكون لها شخصيتها الخاصة المستقلة عن الدين [١٤].

يقول (جيمس بريستد): (إن العصر الإسلامي في إسبانيا كان أكبر عامل من عوامل المدنية في أوروبا).

وفي الوقت الذي بدأت فيه الثقافة الغربية تشق طريقها لتولي ركب الحضارة، كانت الثقافة الإسلامية تمر بفترات ضعف، وتراجع، وتعثر يحول بينها وبين الاستمرار في قيادة العالم، فقد غرق المسلمون في بحور الجهل، والصراع، والفتنة، والانكباب على الدنيا بعد أن خالط فكرهم الدخن-الانحراف عن مصادر التلقي الأصلية-(١٥)؛ فالسطور الرائعة المضيئة بالعطاء والخير التي سطرها المسلمون الأوائل على صفحات التأريخ لم يستطع خلفهم قراءتها، ولم يحسنوا الاستفادة منها، فضلاً عن أن يضيفوا إليها؛ لكن الغرب الأوروبي الذي نهل من معين الحضارة الإسلامية تعلم كيف يقرأ هذه السطور، ويستفيد منها في نشر ثقافته والتسلل إلى بلاد الإسلام، حيث تزامنت مرحلة الانصهار الداخلية في البلاد الإسلامية مع مرحلة الغزو الخارجي لها عن طريق الحروب الصليبية القديمة والمعاصرة. وعادت الأمم المغلوبة الافتتان بالغالب (كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته)؛ والأفكار كالماء تنساب

من أعلى إلى أسفل؛ وبالتالي فهي تنتقل الآن من الغرب الأوروبي إلى الشرق الإسلامي بسهولة ويسر عن طرق قنوات مختلفة، ووسائط متنوعة، مباشرة، وغير مباشرة.

فالحضارة الغربية المعاصرة بمقوماتها الثقافية، ومؤسساتها المختلفة تقوم بعملية غزو متعدد الجبهات، تحاصر الإنسان المسلم بصورة مركزة مكثفة مستغلة في ذلك وسائط ثلاث مهمة هي: التعليم الذي أفرغ من بعده الديني..، والثقافة بدعوى وحدة الثقافة العالمية وإنسانيتها..، والإعلام.

حيث تتولى هذه القوى الثلاث عملية التوجيه غير المباشر في إحلال الثقافة الغربية بديلاً عن الثقافة الإسلامية، متفادية بذلك التصادم مع كثير من العقبات النفسية، والعملية المختلفة. فالتأثير غير المباشر لا يشعر الإنسان بأن هنالك من يفرض عليه أمراً ما؛ بل قد يعتقد بأن هذا الأمر ما هو إلا نتاج فكره الخاص الذي اختاره بإرادته الحرة.

ومع أن الثقافة الغربية المعاصرة تتضمن أفكاراً مناقضة للفكر الإسلامي: كالديموقراطية والتي تجعل الأمة هي مصدر التشريع، وسن القوانين، وهذا مناقض للإسلام

الذي يجعل الأمر الإلهي هو المصدر والأساس لكل تشريع، والقانون من اللّه لا من البشر. أو الدعوة إلى الاشتراكية، والشيوعية والزعم بأن لهذه الأفكار أصولاً إسلامية. أو الدعوة إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة بدعوى أن الدين غير السياسة والحكم، وأن الدين مسألة شخصية. والفكر الحداثي الذي يرى التجديد في مجالات الحياة كلها ضرورة ملحة لمواكبة الحضارة المعاصرة؛ إلا أنها وجدت لها صدى في نفوس كثير من المسلمين، ومنفذاً إلى عقولهم بفعل تلك الوسائط.

هذا المزيج من العقائد، والعلوم الطبيعية، والعمرانية، والاجتماعية، والتقدم الحضاري الدافق بالحياة والنشاط والطموح غلف الثقافة الغربية بغلاف براق خطف الأبصار وسهل لها عملية الانتشار والاستيلاء على عقول الكثير من شعوب العالم - ومن ثم السيطرة عليهم - وبالأخص الشعوب الإسلامية التي أذهلها الانبهار بهذا التفوق الغربي الذي تولى الإعلام العالمي عملية تضخيمه وترسيخه في النفوس وبالأخص عند الأجيال الناشئة التي أصبحت تستمد قدوتها في كل شيء من الغرب حتى كادت ملامح الشخصية

والعقلية الإسلامية تكون مفقودة عند الكثير من شباب الأمة.

لقد سيطر نمط الحياة الغربية على حياة المسلمين بصورة أغرقت المثل الإسلامي الأعلى للحياة والحركة في خضم سباق التقدم المتأثر بعوامل الثقافة الغربية التي اعتمدت قاعدة (التفريغ، والملء) وسيلة لتأصيل الافتتان بالحضارة الغربية في مقابل هدم الثقافة الإسلامية في أعماق الفرد والأمة، مستغلة بذلك الإعلام بوسائله المختلفة من مرئية، ومقروءة، ومسموعة، والتي تسير وفق فلسفة خطيرة في مضامينها تعمل مجتمعة أو متفرقة على رسم صورة محددة للعقل والفكر، والوجدان، والشخصية، وتركيز ما تشاء من قيم وأهداف مقصودة، تسعى لتحطيم الأسس العقدية، والمبادئ الدينية، والقيم الأخلاقية، وتجفيف منابعها الأصلية، وتشكيك المسلم بدينه، وأحكامه، ونظامه، وأخلاقه، حتى لا تنشأ عقلية مسلمة، ولا نفسية مسلمة؛ وبالتالي لا توجد أمة مسلمة.

وهذا الزخم الهائل من المفاهيم الثقافية الغربية الذي تضخه وسائل الإعلام المختلفة بطرق مباشرة، وأخرى غير

مباشرة، عمق لدى شعوب الأمة الإسلامية الشعور بالانهزامية أمام العالم الغربي وثقافته التي أصبحت المعيار لكل فكر، وثقافة (وأخطر مافي الاختراق والتحكم الإعلامي: توهم الأمم المخترقة أنها تمتلك إرادتها، وتصنع رأيها، وتتخذ قرارها بنفسها، دون أن تشعر بأنها إنما تدور في الفلك المرسوم لها وتحرك بأجهزة (الريموت) من بعيد)[١٦].

ولا نبالغ إذا قلنا بأن الثقافة الإسلامية تخوض اليوم صراعاً عنيفاً مع الثقافة الغربية التي تمثل أعظم تحد عرفته الثقافة الإسلامية بمجتمعاتها عبر تأريخها كله. فهي تقف اليوم على عتبة التمزق الثقافي، وفقدان الهوية الذاتية، وضياع معالم الشخصية الإسلامية في خضم موجة التغريب التي تحاصرها من كل حدب وصوب، وهي موجة موجهة بقصد ودقة نتيجة لدراسة يقوم بها أكثر من عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات المتخصصة بشؤون العالم الإسلامي، والتي تقوم بتتبع ورصد كل ما يجري فيه، ثم دراسته وتحليله مقارنة مع أصوله التراثية، ومنابعه العقدية، ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار في البلاد الغربية، لتوضع على أساسه

الخطط، وترسم الاستراتيجيات الثقافية، والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ، لإعادة التشكيل الثقافي وفق النمط الغربي، وإلغاء التواصل الفكري والثقافي بين الأجيال، لفصل الحاضر عن الميراث الثقافي، بالتقليل من قيمته، وتقطيع أجزائه، أو قراءته بأبجدية النسق الغربي، وانتقاء أجزاء من تراث المسلمين الفكري لاستخدامها في هز ثقة المسلم بتراثه، ومحاولة التأثير على صانعي القرار التربوي في البلاد الإسلامية لتأصيل فشل التراث الإسلامي أمام الحضارة الغربية(١٧).

وفي مقابل هذه الدراسات، والتحليلات، والخطط الغربية، نجد نخبة المفكرين، والعلماء والمثقفين في العالم الإسلامي تقف أمام مد الثقافة الغربية أحد أربعة مواقف هي:

١- السلبيون: الذين يرفضون الثقافة الغربية بما أنتجته كله، ويدعون إلى عدم الأخذ منها بشيء. وهذا موقف لا يتناسب مع الأصول الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الإفادة من كل شيء- لا يصادم أصول الإسلام- لخدمة

الدين قال ﷺ [الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها][18] .

٢- التغريبيون: هم الذين يقبلون على الثقافة الغربية بمعطياتها الحضارية كلها، خيرها وشرها، ما وافق الأصول العقدية والتشريعية الإسلامية أو خالفها؛ والتزام نمط الحياة الغربية جملة وتفصيلاً، فكراً ومنهجاً، وأسلوب حياة. وهذا توجه مستسلم للغرب مقلد له.

٣- التوفيقيون: هم الذين يقومون بمحاولة التوفيق بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، من خلال الدعوة إلى تقريب المبادئ بينهما، وتطوير الإسلام ليتناسب مع معطيات الثقافة الغربية، مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية، والبحث عن الأدلة المؤيدة لذلك من أقوال العلماء والمفكرين المسلمين.

٤- الصحوة الإسلامية: وهو اتجاه يدعو إلى احتفاظ المسلمين بإسلامهم وفق القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والوقوف عند حدود الفكر الإسلامي الأصيل، مع الدعوة إلى وحدة الجماعة المسلمة، والإفادة من معطيات الثقافة

الغربية بما تحويه من علوم وحضارة؛ والتحرز من الأخذ من فكر الثقافة الغربية نفسها، وروحها الملحدة(١٩). وهذا الاتجاه الأخير هو الذي يحاول الوقوف في وجه تحديات الثقافة الغربية، وإنقاذ الفرد والأمة من الغرق في محيطها الجارف، ولكن ضعف إمكاناته، وقلة خبرته، والمعوقات التي توضع في طريقه تضعف من فعاليته.

هذه المواقف الأربعة بتوجهاتها المختلفة، أثرت في المجتمع الإسلامي بصورة لا يمكن تجاهلها، لأنها أدت إلى اضطرابات سياسية، وتصدعات اجتماعية، وصرعات داخلية أنهكت الأمة، ومزقت شملها، وأحدثت الفرقة بين صفوفها، مما ساعد كثيراً على تغلغل الفكر والثقافة الغربية بطريقة قوَّت حدة التناقض في الحياة العملية، والمعنوية نتيجة للتناقض الحاد بين المواقف والأفكار المحيطة بالفرد المسلم. الذي وقع أسير الفوضى الفكرية، والوهن العقدي، والتخبط السلوكي.

وقد تمكن مد الثقافة الغربية المعاصرة في الدول الإسلامية وبالأخص الجزء العربي منها من تفريغ الشخصية الإسلامية من محتواها الثقافي، وقصرت فهم الإسلام على

أنه علاقــة فردية بين الإنسان وربه، أو في حــياته الشخصــية المتمثلة في أداء الشعائر التعبدية فقط، دون أن يكون لها ذلك الأثر الملموس في جوانب حياته العملية.

ثقافة دول الخليج العربي
بين الأمس واليوم

تتميز مجتمعات الجزيرة العربية، ودول الخليج العربي بأنها مجتمعات عريقة، وقد ظلت إلى فترة ليست بالبعيدة تعيش حالة انغلاق ثقافي، حفظ لها تراثها الإسلامي، وأصولها العربية، وحافظ لها على خصائصها الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية، وذلك لعدم احتكاكها بالمحتل الأجنبي. فكانت سمات ذلك المجتمع تتمثل بالحياة القروية، أو البدوية البعيدة عن التعقيد، والتي تعيش منغلقة على نفسها في حياة شبه انعزالية وفق ظروف معيشية ليست بالسهلة؛ بعيدة عن الحضارة الحديثة بخيرها وشرها- ويمثل هذا الجيل القديم-.

لكن فترة العزلة هذه لم تدم طويلاً فمد التطور والتقدم الذي رافق اكتشاف النفط في دول الخليج، والجزيرة العربية، قفز بمجتمعاتها قفزة مذهلة، وانتقل بها نقلة كبيرة من حياة البساطة الاجتماعية إلى حياة التقدم والمعاصرة في فترة وجيزة تكاد لا تصدق. والانتقال السريع من حال إلى حال

وهو ما يسمى بـ (الطفرة) لابد أن يحدث خللاً وفجوة واضحة في بنية المجتمع، واهتزاز الموازين؛ وبخاصة إذا ما واكب ذلك غزو الحضارة الغربية بمعطياتها الثقافية، والمادية التي اقتحمت أسوار دول الخليج والجزيرة العربية الرملية والبحرية من خلال وسائط مختلفة منها على سبيل المثال:

١- **الاقتصاد:** فاكتشاف النفط في هذه المنطقة بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام جعلها موضع اهتمام الغرب وتنافس دوله للسيطرة عليها والتمكن من شعوبها. وقد أثر اكتشاف النفط وما نتج عنه من الثراء، والوفرة المالية أثراً فعالاً على سلوك الأفراد وإقبالهم على معطيات الحضارة المادية من خلال تحول هذه الدول إلى أسواق استهلاكية للمنتجات الغربية، والشرقية على حد سواء؛ ولم يقف الأمر عند حدود الضروريات، بل تجاوزها إلى الاهتمام المفرط بالكماليات، والمظاهر المادية، والتي ما لبثت أن تحولت إلى أهداف بذاتها تسخر الأفكار لتنميتها. فقد صار الهم المستقبلي هماً مادياً لتحقيق أكبر قدر من حياة الترف والبذخ.

وهذا اللهث المادي كان له أثره الواضح على الثقافة

المتميزة لشعوب المنطقة وقيمها الأخلاقية وأفكارها الأصيلة، والأهم من ذلك على طبيعة تركيب الأسرة وتماسك أفرادها؛ وبسبب الهدف المادي اختل التوازن الفكري والسلوكي في المجتمع، وبدأت الفجوة بين جيل الآباء وجيل الأبناء تتسع.

٢- الانفتاح على العالم: كان لاكتشاف النفط كذلك دوره الفّعال في انفتاح دول الخليج على العالم بصورة لا مثيل لها، فالطفرة المادية أثرت على البنية الفكرية للمجتمعات الخليجية التي اندفعت في طريق الاقتباس من الغرب مجال الحضارة، والتجارة، والصناعة، والثقافة بطريقة ارتجالية متهورة باتت تهدد الجذور الإسلامية الأصيلة، والروح العربية العريقة فيها. وقد أشار البروفيسور (صمويل .ب. هنتنغتون S.B.Huntington)[٢٠] في نظريته (صدام الحضارات) إلى هذه الحقيقة فقال:- (تؤدي عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي إلى فصم العلاقة التي تربط الشعب بهويته المحلية الراسخة الجذور. كما أنها تؤدي أيضاً إلى إضعاف الدولة القومية كمصدر للدين)[٢١].

هذا الانفتاح على العالم اتخذ شكل قنوات مختلفة يأتي في مقدمتها:

أ- الإعلام:

لقد تميز عصرنا الحاضر بانفجار معرفي، زادت معه وسائل الاتصال العلمي، والتواصل الإعلامي، والانفتاح الثقافي، وكثرت وتنوعت بشكل مذهل أدى إلى أن انتزعت - هذه الوسائل- من البيت والمدرسة دورهما في تربية الفرد وتثقيفه. فهي تملك من الوسائل والمشوقات مالا يملكه البيت أو المدرسة.

وقد عمل الإعلام على إحداث تمزق نفسي، وتناقض عقلي، وتضارب للقيم بين ما يراه الفرد في بيئته، أو يلقن له في مدرسته، وما يقدمه له الإعلام من أفكار لا تناسب بيئته، ومشكلات لا علاقة لها بواقع حياته ومجتمعه؛ فالفكر المطروح فكر غربي بحت وإن ألبس ثياب الشرق، والمعالجات غربية تهدف إلى (إيصال فكرة، وتشكيل عقل، وصناعة ذوق عام، وزراعة اهتمامات معينة، حتى إنه لم يعد يكتف برصد الحدث، وإيصال المعلومة؛ بل أصبح بما يمتلك من قوة وعوامل تأثير وضغط وتحكم، يقوم بصنع الحدث والتحضير له في الوقت نفسه... فلئن كان الإعلام هو بث المعلومة وتوظيفها، وتلقيها، وهضمها،

واستيعابها، فإن التحكم هو كيفية استعمال هذه المعلومة وتوضيفها في تغيير مجرى التفكير، ودفع الاتجاهات النفسية إلى أهداف مقصودة ومحددة مسبقاً، وقد وصل الإعلام إلى درجة بالغة الخطورة والتأثير لقدرته على تزيين الباطل وجعله حقاً، وزري الحق بجعله باطلاً)[٢٢].

وقد استطاع الإعلام بوضعه الحالي تحقيق الكثير من الأهداف في تغيير البنية الفكرية، وتوجيه الثقافة، بل وأسلوب الحياة العامة إلى الأسلوب الغربي البحت، بفصل الإعلام بنشاطاته الواسعة وممارساته المتنوعة، عن الهدي الإسلامي، والقيم العريقة، والاكتفاء بتحكيم الإسلام في جزء يسير من النشاط الإعلامي المتمثل ببعض البرامج الدينية الجامدة، دون مبالاة بأن يناقض الإعلام العام مبادئ الإسلام وأخلاقه، ويتعدى حدوده وضوابطه فيما يقدمه من برامج إعلامية أخرى، فنراه يقدم برنامجاً دينياً يدعو إلى الفضيلة، يعقبه مباشرة بآخر يغري بالرذيلة؛ وهو بهذا يقترب كثيراً من المفهوم الغربي العلماني بفصل الدين عن الحياة، وكأنه لا سلطان له على الواقع، ولا هيمنة له على حياة المجتمع، ونشاطه العام، متوهماً بأن صدور الإعلام من دولة مسلمة

يكسبه الشرعية الإسلامية دون اعتداد بمنهجه ومضمونه وأساليب ممارسته[٢٣].

هذا التدفيق الإعلامي قابله استهلاك غير واع من قبل المجتمعات الخليجية، أسلمها إلى الغربنه كما عبر عنها (أوليفيير روا Olivier Roy) وهو يتحدث عن المجتمع السعودي المعاصر في كتابه: (تجربة الإسلام السياسي) فيقول: (الأسرة الحديثة هي حيز استهلاك قبل أي شيء آخر: تلفزيونات، أشرطة فيديو.. الخ. والإسلاميون لن يستطيعوا احتواء هذا الاستهلاك وجمه، لأن الشريعة تحمي الحرمة العائلية الحميمة. والحال أن المتداول في الأسرة المدنية هو نقيض نمط الحياة الإسلامي. إنه نتاج غربي، فليس ثمة "هوايات" إسلامية. والأنماط الثقافية الجديدة (أشرطة الفيديو) تتفتح في قلب الهوية الإسلامية. ونواتها الأساسية. حتى ولم تكن النتيجة "غربنة" السلوكيات على الإطلاق، بل مجرد تأليف وتجاور بين منظومتين)[٢٤].

فالإعلام بوضعه الحالي عمد إلى تمييع القيم الإسلامية الأصيلة، وتدمير الأخلاقيات والمبادئ، وتشويه الأفكار لدى أجيال الناشئة، الذين وجدوا أنفسهم في أحضان الثقافة

الأوروبية، أو واقعين تحت تأثيرها الهائل، دون أن يكون لديهم من ثقافتهم الإسلامية الأصيلة الرصيد الكافي الذي يحميهم من شر الانجراف فيها.

لذا، فقد ظهر في دول الخليج جيل من الشباب والفتيات المقلدين للنموذج الغربي روحاً ومظهراً.

وبذا، صار الإعلام بوضعه الحالي أداة تدميرية للفكر، والقيم، والمبادئ، بتنميته للقيم المادية على حساب القيم الروحية، والأخلاقية، والثقافية، وتوظيف ميول وحركة الإنسان والمجتمع باتجاه الدنيا، والسعي إلى جمع الأشياء، والمتع الحسية، وشغلهم عن القيم العليا التي تحفظ لهم دنياهم وآخرتهم.

ب- العمالة الأجنبية:

من الصور المتممة للازدهار الاقتصادي، ورفاهية العيش في دول الخليج العمالة الأجنبية. والتي حولت هذه المنطقة إلى أهم مناطق العالم المعاصر في جذب العمالة، نظراً إلى ظروفها الاقتصادية والاجتماعية. ومعظم هؤلاء من غير المسلمين، وإن كانت غالبيتهم من النصارى، الذين

قدموا من دول آسـيا، وأفريقيا، والتي اقـتحمت على الناس بيوتهم، وشاركتهم حـياتهم، وانتزعت منهم تربية أبنائهم، حـتى فـاق عـددها في بعـض دول المنطقـة عـدد السكان الأصليين.

هذه الأفواج الضـخمـة من العمـالة الأجنبيـة -رجالاً، ونساء- نقـلت ما تؤمن به من أفكار، وقـيم، وثقافة تـنتمي إليها إلى دول الخليج بوسـائل مباشرة، وأخرى غيـر مباشرة استطاعـت من خلالها أن تحـدث تغيـيراً في النظام الحـياتي السـائد، بل تعدى تأثيـرها إلى اللغة العـربية الـتي استـبدل بـعض مصطلحـاتها مـصطلحـات أجنبيـة هي خليط من: الإنجليزية، والأوردية، والفلبينية، وغيرها من اللغات الأخرى.

يضاف إلى ذلك الجـالية الأوروبية والأمـريكية التي تمثل الطبقة العليا من هذه العمالة، والتي كان لها دورها الكبير في زعزعـة كثيـر من القيم الأخلاقـية، والمبادئ الديـنية بطريق التعامل اليومي والاحتكاك المبـاشر مع أبناء المنطقة، وما نتج عن ذلك من التقليد للمثال الغربي.

لذا فقـد اهتمت هيـئة (MECC) بأوضاع هذه العـمالة ،

ودورها الإيجابي في تغـيير الشكل السكانـي لمنطقة الخليج، وقـد ترتب على ذلك أن أعدت هذه الـهيـئة دراسـة للشكل السكاني ومـحاولة التـعرف على نسـبة العـمالة المهـاجرة، ودياناتها، ثم وجـهت بعض القساوسـة، والمربين النصارى إلى المنطقة لقيـادة هذه العمالة، والاستـفادة من وجودها في تنفيذ برامج الهيئة، وسـهلت دخول كثير من المنصرين الذين يعـمل مـعظمـهم في المراكـز الطبيـة، والمجـالات الفنيـة، والصناعية، دون الإعـلان عن هويتهم الحقيقيـة، أو التعرف على طبيعة نشاطهم[٢٥].

٣- التعليم..

للعلم أهميته الكبـرى في حياة الأمم والشعوب، ومن ثم فقـد كان مـستـوى التعليم هو أحـد المقاييس المهـمة لمعـرفة حضـارة الشعـب وتقدمه ورقـيه، فـإذا ما أضـيف إلى هذه الأهميـة أساس آخر وهو حث الإسـلام على طلب العلم، والاهتمـام به، ورفع شأن طلبة العلم والعلمـاء، تأكدت لنا قيمة العلم وأهمية التعليم في حياتنا المعاصرة.

والسياسة التعليميـة تمثل الخطوط العامة التي تقوم عليها

التربية والتعليم في توجيه الأفراد، وتحقيق أهداف الأمم التي تحددها عقائد واضعي هذه السياسة، أو مصالحهم الشخصية، أو القومية. فالتعليم في بلاد الأرض جميعها موجه وفق عقائد، ومذاهب، ومفاهيم واضعي سياسة التعليم؛ ولا يوجد تعليم حيادي غير موجه.

ولأن التعليم أصبح من مستلزمات حضارة العصر، فقد اعتنت دول الخليج بنشره بين أفراد المجتمع كافة، ويسرت السبل إليه، وجعلته تعليماً مجانياً مباحاً للجميع بمراحله المختلفة - بما فيها تعليم الكبار «محو الأمية». وقد سار التعليم في دول الخليج جنباً إلى جنب مع بقية مناحي الحياة الحضارية الخاضعة لمبدأ (الطفرة)، والنقلات الكبيرة التي اهتمت بقاعدة التطور الكمي لقاعدة المتعلمين، مغفلة جانب التطور الكيفي لهذه القاعدة.

وقد كان التعليم أحد الأسس الحضارية والكمالية القائمة على مبدأ الاستيراد غير الخاضع لعملية التمحيص والنقد، والتجربة والاختيار الدقيق. فالمناهج التعليمية بمضامينها غير الإسلامية غربية المصدر، ذلك (أن النظام التعليمي في المنطقة العربية بشكل عام ومنطقة الخليج والجزيرة العربية

بشكل خاص بات وسيلة من وسائل تكريس التبعية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي السياسية للنموذج الغربي المتمثل في الولايات المتحدة)[٢٦]، وهو تعليم حصر العلوم الدينية في حيز صغير لا يكفي لبناء حصانة دينية علمية عقلية لدى الأجيال الناشئة ضد الثقافات الغازية، وحمايتهم من الانصهار فيها نتيجة الانبهار بالمثال الغربي المطروح، وحتى المملكة العربية السعودية التي تدرس العلوم الشرعية، والحضارة الإسلامية بصورة مكثفة عبر مراحل التعليم كلها، فإن أسلوب التعليم الديني المكثف فيها لم يعط ثماره المرجوة بتوفير الحصانة النفسية والثقافية؛ لأنه تعليم يقوم على مبدأ التلقين والحفظ البحت الذي لا يترك أثراً في تشكيل عقلية الفرد وفكره وعمله، فضلاً عن نفسيته ومشاعره.

وقد كان للرغبة في الإسراع بمواكبة التطور العلمي المعاصر، إسراف دول المنطقة في إرسال البعوث من الطلبة والطالبات إلى الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية؛ فالطالب أو الطالبة لا يعود وقد حمل الشهادة التخصصية فقط، وإنما حمل معها الفكر الغربي، والثقافة

الغربية، والتبعية للنموذج الغربي، بعد أن أفقد هناك الثقة بالنفس، والانتماء للدين، والاعتزاز بالتراث الأصيل، لخضوعه طيلة سنوات لعملية التفريغ والملء علمياً وعملياً بالاحتكاك اليومي المباشر بالحياة الاجتماعية الغربية. وحتى أولئك الذين استطاعوا النجاة من التأثر الكامل، لم يتمكنوا من تجنب التأثيرات غير المباشرة على الفكر والسلوك.

هذه العوامل جميعها أثرت تأثيراً واضحاً في تغيير البنية الفكرية والاجتماعية، للمجتمع الخليجي وتعميق الهوة بين جيل الأباء وجيل الأبناء الذي نراه واضحاً في جوانب الحياة المختلفة.

المرأة المسلمة وصراع الثقافات[٢٧]

إن كانت الثقافة الغربية المعاصرة قد استطاعت أن تؤثر على البنية الفكرية والعملية لتوجيه المجتمعات الإسلامية بصفة عامة والخليجية بصفة خاصة. فما هو يا ترى موقف المرأة من ذلك؟؟

لا شك بأن المرأة تشكل جزءاً حيوياً من تكوين المجتمعات، وبالتالي فإن أي تغير أو تأثر يطرأ على المجتمع، فلا بد أن تنال المرأة منه نصيباً وافراً؛ بل لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا بأن المرأة قد تكون أسرع فئات المجتمع تأثراً وذلك لأسباب معنوية أو مادية متعددة أوجدت لديها قابلية التأثر والتغيير. وبالنسبة للمرأة المسلمة على وجه العموم والخليجية على وجه الخصوص فإن الظروف البيئية التي كانت - ومازالت- تعيشها والتي ابتعد فيها المجتمع عن حقيقة الإسلام وأصوله في ممارسات حياته اليومية، وما أسفر عنه هذا الابتعاد من وقوع الظلم، والإجحاف في حق المرأة، والتعسف في تطبيق حق القوامة، وهيمنة التقاليد الاجتماعية، والأعراف القبلية التي لم تخل من السمات الجاهلية، والتي أورثت نظرة الازدراء والصَّغار للمرأة،

إضافة إلى الجهل بحقائق التشريع الإلهي، وموقفها الرائع من المرأة، ومحاولة الرجل السيطرة على توجيه النساء، وعدم ترك الفرصة لهن للتعبير عن أنفسهن، حتى قضايا المرأة نفسها تطرح وتعالج دائماً من قبل الرجل. فالمجتمع عجز عن أن يمد المرأة بالشروط الضرورية للتوازن الصحيح الذي يشعرها بقيمتها، وكيانها، وأهمية دورها في بناء المجتمع، وما ذلك إلا لتخلف الوسائط التربوية عن القيام بدورها، وهي :

١- الأسرة:

هي المحضن الأساسي لتلقي الأصول الرئيسة في تحديد ملامح الشخصية، والسلوك، والفكر، والتوجه؛ لم تهتم بالبناء الفكري، والعقلي، والثقافي، وزرع الأهداف الدينية الواضحة، وتنمية حس المسؤولية، وبناء الشخصية الإيجابية المتوازنة البناء الروحي الصحيح وتأصيل الثقة في النفس.

٢- التعليم:

بمستوياته جميعها جعل همه الأوحد توصيل أكبر قدر من المعلومات، والمعارف؛ دون اهتمام بالجوانب التربوية

العمليــة، التي تغرس الأهداف، من خــلال الربط بين الميول والغــايات. بالإضــافــة إلى أن تعليم المرأة لا يهــتم بتنمــيــة ملكاتهــا التي تؤهلها لأن تكون شــخصيــة مســتقلة فــعالة؛ فطبيــعة المواد التي تدرس لا تناسب المرأة ولا تهــيئــها لتكون فرداً فعالاً، وفي الوقت ذاته فالصبــغة العلمانية التي اتسمت بها تلك العلوم في مــعظم الأقطارالإسلامية لا تســاعد على تكون المعــاني الربانية التي تولد حــصانه ثقــافيــة لدى المرأة. وكما قال (محمد إقبــال) في وصفه للمدرسة الحديثة: (إنها قد تفــتح أعين الجيل الجديد على حــقائق ومعــارف لكنها لا تعلم عينه الدموع ولا قلبه الخشوع).

٣- التقاليد:

فكثير من التــقاليد التي تحكم حيــاة المسلمين وبيوتهم لم توزن بميــزان الإســلام، لكنهــا تحكمت في حــيــاة الناس وحكمــتهم، وحلت مــحل تعــاليم الإســلام الصحــيحــة، واستطاعت أن تقضي على كيــان المرأة، وتقلل من مكانتها، وألغت كثيــراً من الحقوق التي قررها لهــا الإسلام، وجعلت تلك الحقــوق حبيــسة كتاب اللّه الــذي يقرأ ولايطبق، وسنة رسوله ﷺ التي تردد ولا يُقــتدى بها، وكــتب الفقــهاء التي

تُدَرَّس ولا يُعْتَدُّ بمضامينها. مع أن تلك الحقوق والمكانة لم تكتسبها المرأة من الظروف ولكنها منحة إلهية، وتشريع رباني.

٤- النظرة الخاطئة:

التي تنظر بها المرأة إلى نفسها، وإلى دورها، وإلى قدرتها، كانت سبباً رئيساً في انهزاميتها النفسية أمام الثقافة الغربية . وهذه النظرة غالباً ما تكون متخفية في أعماق المرأة بصورة دفينة لا تشعر بها في عقلها الواعي وإن حكمت تصرفاتها، وحركاتها الخارجية في محاولتها لمحاكاة المرأة الغربية بشكل مبالغ فيه.

٥- الإعلام:

بوسائله المختلفة: المسموعة، والمقروءة، والمرئية، قد تجاهل عامداً دور الثقافة الإسلامية في إبراز دور المرأة المسلمة في بناء الأمة، ومكانتها فيها؛ وجعل تركيزه الكلي على تنمية الجوانب المظهرية، والشؤون المنزلية؛ بل إنه أسهم إلى حد كبير في التقليل من شأنها ودورها، حين قدمها بصورة مبتذلة عابثة، محاولة منه لتذويب شخصيتها الإسلامية المتميزة، وخلعها من دينها، وقيمها، وأخلاقياتها،

ومبادئها، وأصالتها، وتحويلها، إلى صورة مشوهة مهزوزة للمرأة الغربية- مع الفارق الثقافي، والتفاعل الإيجابي- وعمل على إقصائها عن حقائق دينها، بهجومه الخبيث على قيم الإسلام المتعلقة بالمرأة، في مقابل تمجيد النموذج الثقافي الغربي. فكان له كبير الأثر في تمردها على قيم دينها، وأصول ثقافتها الإسلامية، وافتتانها بالمثال الغربي.

٦- السفر إلى الخارج :

فالسفر إلى البلاد الغربية والاحتكاك المباشر بثقافتها، ومجتمعاتها، والذي أصبح ضرورة ملحة، ومظهراً اجتماعياً مهماً، تنتهز أي فرصة لإظهاره بشد الرحال إلى بلاد الغرب حيث يتم هناك تذويب ما تبقى من ملامح الشخصية المسلمة المستقلة بالانصهار الجزئي أو الكلي في معطيات الحضارة الغربية شكلاً ومضموناً.

هذه العوامل وغيرها عملت مجتمعة على مسخ عقول الكثيرات، وأدت إلى إحداث نوع من التمزق النفسي، والتناقض العقلي، وتضارب القيم والأفكار، والتركيز على توافه الأمور، وتغييب الوعي الإسلامي الصحيح لدى المرأة المسلمة، ومن ثم فقدانها للفاعلية الاجتماعية، وإبقائها في

وضع متخلف عن دورها الحقيقي في المجتمع[٢٨].

فكان موضوع المرأة المسلمة بصفة عامة، والمرأة الخليجية بصفة خاصة، من أظهر الموضوعات التي انهزم فيها المجتمع المسلم أمام التدفق القوي لمد الثقافة الغربية المعاصرة.

ذلك أن المرأة التي رزحت تحت أنواع شتى من المظالم كانت أسرع فئات المجتمع، وأكثرها تجاوباً، وتفاعلاً مع أفكار هذه الثقافة الغربية ومعطياتها، لأن الإسلام صار بالنسبة لها سجناً يحجبها عن الحياة، عن العالم، عن التقدم، عن حقها في الحياة، عن الاستقلالية، والشعور بالذات؛ في حين توهمت فيما تقدمه لها هذه الثقافة الوافدة الطريق الذي يوصلها إلى تحقيق مكانتها، ووجودها، ومحاكاتها للمرأة الغربية، التي أصبحت القدوة والمثل الأعلى. فصارت المرأة المسلمة ذيلاً للمرأة الغربية، وصورة مشوهة لها في شكلها الظاهري، وإن لم تضاهها في رقيها العلمي، وثقافتها الفكرية- مع التأكيد على وجود نماذج نسائية إسلامية مشرفة-.

ولم تنتبه المرأة، ولا المجتمع إلى أن هدف تلك الثقافة

الغازية هو تغريب المجتمع المسلم، وتشويه خصائصه ومقوماته، واقتلاعه من جذوره الإسلامية، وتذويبه في إطار الحضارة الغربية، وتكريس التبعيه الذليلة للغرب، ليصير مجتمعاً ممسوخاً بلا هوية، بلا شخصية، بلا حضارة، بلا ثقافة[٢٩].

لكن ما الحل..؟... وكيف السبيل..؟... ومن أين تكون البداية..؟.

ثقافتنا الإسلامية هي الحل

في هذا العصر الذي يطلق عليه (عصر القلق) لما يعج به من نظريات علمية، وتيارات فكرية، واتجاهات عقلية تفرض نفسها على الإنسان، وتقتحم عليه حياته، وتحاصره من كل مكان، متسللة إليه عبر وسائل الإعلام المختلفة، وما تبثه هذه بدورها من سموم فكرية، ونظريات مادية، وعقائد مختلفة تزلزل النفوس، وتشوش الأفكار، وتحدث الاضطراب في القناعات.

في عصرنا المسمى (عصر الانفتاح والتقارب) الذي جعل العالم الأرضي كبلد واحد. انتشر فيه الفكر كالهواء يحيط بالإنسان في كل مكان، ويدخل إلى عقله شاء أم أبى، بطرق مباشرة، وغير مباشرة، وبأساليب مشوقة جذابة، بات من المستحيل معه إغلاق الأبواب على الأجيال الشابة المثقفة منها وغير المثقفة، وعزلها عن هذا الركام الهائل المتدفق الذي يسعى جاهداً لتذويب شخصيتها الإسلامية، وإفقادها الكثير من أصالتها، وروحها الإسلامية المتميزة، وصهرها في خضم المذاهب، والأخلاق، والأفكار الوافدة. حتى أصبح فقدان الشخصية الإسلامية من أكبر المشكلات

التي يعاني منها مسلمو هذا العصر. فمعالم القلق النفسي، والاضطراب الفكري يوشك أن يفقد الإنسان المسلم وبخاصة المرأة هويته الإسلامية، وذاتيته الفكرية، والسلوكية، وثقته بما بين يديه من تراث عقدي، وفكري، وأخلاقي، وثقافي، وتأصيل استشعاره الدونية في صراعه مع معطيات الحضارة الغربية، وثقافتها، وتقدمها في المجالات كلها

يضاف إلى ما تقدم كله بعد آخر، وهو ما يتردد في الغرب بين آونة وأخرى على ألسنة علمائها، ومفكريها، وقادتها السياسيين والعسكريين، والدينيين من أن الصراع القادم إلى العالم لن يكون صراعاً على المصالح الاقتصادية، ولا القوميات، لكنه صراع بين الحضارة الغربية، والحضارة الإسلامية؛ وهذا يقتضي من الغرب أن يعد العدة لكسب المعركة ضد الإسلام وثقافة الإسلام، التي باتت تستقطب أعداداً ليست بالقليلة من أبناء الغرب الذين ضاقوا ذرعاً بثقافة الغرب المادية[(٣٠)].

وهذا كله يؤكد لنا مدى أهمية دور الثقافة الإسلامية الأصيلة في تحصين المسلم المعاصر ضد الانبهار غير الواعي

ببريق الثقافة الغربية، وبحضارتها المعاصرة، وجعل المسلم قوة متفاعلة مع مبادئه وقيمه من أجل تثبيت كيان أمته في التصدي لقوى الباطل، ورفع شعار التوحيد لأمة متميزة لها خصائصها الإسلامية، ووجودها الحضاري العريق، والتصدي للحرب المعلنة عليها من الغرب بأسلوب غير مباشر عن طريق الانصهار الثقافي.

فالثقافة الإسلامية هي الدرع الواقي، والحصن المنيع في وجه التحديات المعاصرة؛ وذلك لأنها ثقافة تمتلك مقومات الاستمرار والبقاء، والصمود كلها، ولأنها تصلح لكل زمان، ومكان، وبيئة، وظروف، وتناسب العقول والنفسيات جميعها، وتلبي متطلبات الحياة كلها. فهي كما عبر عنها العلامة (أبو الحسن الندوي): (إنها أساس حضارة تمتلك نعومة الحرير، وصلابة الحديد، نعومة الحرير في مسايرة المقتضيات والحاجات والحقائق، غير مفترضة ولا مختلفة، ولا متخيلة ولا مبالغ فيها؛ وصلابة الحديد، وثبات الجبال على حدود العقيدة والأخلاق، إنها مفتوحة العقل والضمير، منشرحة الصدر لاقتباس العلوم النافعة التي نشأت وتكونت في جانب بعيد في هذا العالم، واقتباس

النظم والأساليب التي لا تمس جوهر الدين ولا تغير وضع الأخلاق)[٣١].

والثقافة الإسلامية بمقوماتها التي ذكرناها: القرآن، السنة، الفقه الإسلامي، التأريخ الإسلامي، اللغة العربية؛ وبسماتها الأساسية التي تقوم عليها تميزت بقدرتها على تقديم تصور إسلامي شامل للحياة بما فيها من إنسان، وكون، وأن تصل الحاضر والمستقبل بالماضي روحياً، ومادياً، وإحياء الانتماء إلى الإسلام مبدأ وشريعة، وإلى الأمة الإسلامية سلوكاً وخلقاً[٣٢]، وتعمل في الوقت ذاته على بناء الشخصية المتزنة، والعقلية الواعية، التي تفيد مما هو نافع كله دون أن تفقد ذاتيتها الإسلامية، وتقوم بواجب الدفاع عنه ضد التيارات المعادية. وبما أن هذه التيارات تتطور وتلبس أثواباً جديدة في كل مرة، وترفع شعارات براقة لها رنينها الأخاذ، وأسماؤها المختلفة؛ فإن على الثقافة الإسلامية أن تقدم الوسائل الدفاعية المتطورة والمناسبة لكل جديد[٣٣].

هذا ما تقدمه الثقافة الإسلامية للإنسان المسلم؛ أما بالنسبة لغير المسلم، وبخاصة الإنسان الغربي، فإن الثقافة

الإسلامية تستطيع أن تعوضه عما يعانيه في حياته المعاصرة من التيه العقدي، والقلق النفسي، والاضطراب السلوكي، والخواء الروحي، والذي لم يستطع أن يجد له علاجاً في المناهج التجريبية، والمذاهب الفلسفية، والدعوات الدينية التي تتقاذفه أمواجها بين مد وجزر أفقده أمنه الداخلي، على الرغم من تقدمه العلمي والتقني؛ إلا أنه ظل يعاني فراغاً رهيباً، وظمأ قاتلاً، في روحه، وعقله لم يملأه العلم، ولم تروه الحضارة، لأنه عطش الروح للفطرة الإيمانية التي أودعها الخالق في كل نفس ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم ٣٠).

فالثقافة الغربية التي أورثت الإنسان الغربي الانحراف الخلقي، والضياع الذاتي، والخواء الإيماني، أصابته بالعذاب النفسي الداخلي الذي يمزق أعماقه فيختل توازنه بين قيم أضاعها وواقع مادي يعتصره؛ هذا الإنسان لن يسترد كيانه، ولن تهدأ نفسه، وتسعد روحه إلا إذا عرف الحق الذي تقدمه الثقافة الإسلامية للعالم أجمع، لأنها وحدها التي تملك القدرة على الموازنة في تلبية احتياجات الإنسان الروحية،

والمادية، والفطرية. وهذا ما أدركه الفيلسوف البريطاني (برنارد شو B.Show) حيث قال: (إنه لن ينتعش العالم من كبوته إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الإسلامية، ولابد من هذه النتيجة من نحو قرنين من الزمان). وما ذلك إلا لأن الثقافة الإسلامية وحدها التي تستطيع تحقيق الرخاء والسعادة للإنسان المعاصر؛ فهي بمقوماتها الإلهية الأصيلة تقدم التصور الصحيح الكامل الشامل للحياة، والإنسان، والكون من خلال تحديد علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بالكون، وتجعل لحياته معنى يتجاوز حدود مادية الحياة الدنيا وضيقها إلى رحابة الحياة الآخرة.

ولكي تستطيع الثقافة الإسلامية استعادة دورها الحقيقي الفعال في التأثير في الفكر والثقافة المعاصرة إسلامياً وعالمياً، فإن هذا يقتضي عودة صادقة إلى الله ونشر الفكر الإسلامي الواعي، وتصحيح المفهومات الخاطئة، والارتقاء بالوعي الإسلامي العام، وتشييد ثقافة إسلامية معاصرة من الأسس العقدية، والشريعة الربانية، والتراث الفكري، ثقافة لا تعمل على دحض الهجوم الفكري الوافد فقط؛ بل وتكون صالحة بما تقوم عليه من عناصر الصمود والبقاء إلى أن تدفع

بالمسلمين إلى نشر فكرهم على العالم أجمع. فالأصول التي قامت عليها هذه الثقافة ما زالت موجودة لكنها تحتاج إلى من ينفض عنها غبار الانهزامية، والتخاذل(٣٤). وهذا ما تحاول الصحوة الإسلامية المعتدلة أن تقوم به اليوم، على الرغم مما يعترض طريقها من العقبات الحقيقية والمفتعلة؛ وهو يحتاج إلى خطوات لابد منها حتى يعطي ثماره المرجوة...

الخطوة الأولى:

الإيمان الصحيح.. ويقصد به الإيمان الحقيقي الراسخ، الذي يقوم على اليقين بتحقيق العبودية التامة لله وحده، وتأصيل معانيها الحقيقية في ضمير المسلم، حتى تكون حقيقة في واقعه، وعقيدة يقوم عليها فكره وحركته ونشاط حياته ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾

(سورة الأنعام: آية ١٦٢-١٦٣).

هذا الإيمان هو الدافع الحقيقي للعمل، والحركة، والإبداع وفق المنهاج الرباني الفريد، وهو لا يتأتى إلا بالفهم الصحيح لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والفقه التام لهما،

بالوعي العميق لمقاصد الدين وتعاليمه، لإيجاد قاعدة إيمانية تعين على الترقي في الالتزام من أدنى إلى أعلى.

الخطوة الثانية :

العلم بمنهاج الله .. ويتحقق بالالتزام، والعمل، والجهد، وبذل الطاعة، والعبودية لله من خلال ارتباط آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ ، وترابطها في الصدور، وفي الفهم، وفي العمل، وفي الحياة، فتحدد السلوك، وتقرر المنهاج، وتوضح المسؤولية، والأمانة، والغاية، في مجالات الحياة كلها؛ فالعلم بمنهاج الله وتطبيقه يخلق المؤمن العامل، الواعي روحاً، وفكراً، وتصوراً، وعقيدة، وسلوكاً، وحركة، ونشاطاً.

الخطوة الثالثة:

العلم بالواقع المحيط وظروفه، ومتطلبات العصر، لأن ذلك يعين على التحرك الفطن السليم في نطاق الضوابط الربانية في منهاج الله والتزامه، وهي دراسة يقوم بها أفراد جماعة الأمة، لأنها لا تقف عند حد، ولا تقتصر على جانب دون آخر، فهي شاملة للجوانب الاجتماعية،

والنفسية، والسياسية، والاقتصادية، والعملية، والفكرية.

بحيث يعي كل مسلم الجزء الذي يتناسب مع طاقاته، وإمكاناته، وحدود مسؤولياته واختصاصاته فيقوم به بما يناسب متطلبات المقام؛ وهذا يعين على تكوين الشخصية المسلمة العاملة اليقظة المتفتحة، التي تعي أين هي..؟ وماذا يجري حولها؟ وما دورها..؟، فتقوم بمسؤولياتها كاملة(٣٥).

الخطوة الرابعة:

مراجعة التقاليد التي تحكم حياه المسلمين، وتتحكم بها؛ ووزنها بميزان الإسلام، فما وافق الإسلام عمل به وأُصِّل، وما خالفه رفض، وبدء بتصحيح المفهومات المنحرفة في المجتمع، وبخاصة بين طبقات النساء وما يتعلق بهن، مع تنمية الاستعلاء الإيماني الذي يرسخ موقف المسلم والمرأة بالذات في معركتين: معركة التقاليد المنحرفة، ومعركة التقليد للغرب.

الخطوة الخامسة :

إصلاح التعليم... بجعله تعليماً ذا روح إسلامية

صافية بحيث يكـون التعليم، والموازين، والمقاييس الضابطة للعلوم كلها، ومـحورها إسلامـياً صرفاً، وهو مـا يسمى بـ (أسلمة العلوم)، فتكون الثقافـة الإسلامية هي محور مناهج التعلم، ولا يـقصد بهـذا زيادة كميـة العلوم الإسلامـية، أو تعميمها على مـراحل التعليم المختلفة فقط، ولكن أن تصاغ المناهج الدراسـية لـلمراحل التـعليـميـة المختـلفة صـياغـة إسلامـية، تخلـق جيلاً مـتمـاسكاً واثقاً من نـفسه، مـؤمناً برسالته، له شخصيته المتميزة، وهويته المحددة المستقلة.

الخطوة السادسة:

أسلمـة الإعـلام بحـيث ينطلق الإعـلام الإسـلامي من الأطر الفكرية، والاجتـماعية، والإنـسانية المنبثـقة من روح الإسلام، وتصـوراته الكلية، وقـيمه السـاميـة؛ والضوابط الشرعـية التي لابد من الالتزام بـها في النشاطات المخـتلفة، والممارسـات الواقعـية، فـروح الإسلام هي التي تصـوغه، وتحركه، وتوجـهه من كونه فكرة إلى أن يظهـر بصورة عمل كامل - مـقروءاً، أو مـسموعـاً، أو مرئياً- بحـيث يكون له منهـاجه القـويم الذي تسيـر وفقه نـشاطاته الإعـلامية كلـها بقنواتها المختلفة، دون تناقض أو تضارب، فـتتحقق الصورة

الشاملة للإعلام الإسلامي المنسجم مع الحقيقة الأصلية لهذا الدين، ويحقق للأمة الاستقرار، والتوازن، ويخلصها من الازدواجية، والتناقض، والصراع الذي تعيشه(٣٦).

وهذا يتطلب أن يلتزم الإعلام الإسلامي بالصدق، والأمانة، والاعتماد على الإقناع العقلي القائم على الحق، والعدل، والهادف إلى الوصول إلى الإنسان أياً كان، لينقذه، لا ليستهويه، وليعينه على تحقيق رسالته في الحياة في ظل منهاج الله ،لا ليستغل جهده، ولينمي فيه القيم، لا ليثير فيه كوامن الشهوات، وأسباب البغي(٣٧).

ولن يتحقق ذلك إلا إذا وعى الإعلام الإسلامي دوره الفعال في نشر الفكر الإسلامي الصحيح، والثقافة الإسلامية الأصيلة، وبيان ما سوى ذلك من أفكار منحرفة، ومبادئ هدامة، ومذاهب باطلة؛ وأن يهتم بإعادة صياغة وسائله في إطار إسلامي صحيح، واضح المنهاج، محدد الأهداف، مدروس الخطوات، شيق الأسلوب، قوي العرض، بعيداً عن التفاهة والسطحية، ولا يقصر نشاطه على بلاد المسلمين؛ بل يتعداها إلى أقطار الأرض جميعها، فيبين الحق ويزينه بالوسائل، والطرق المتاحة كلها، ولا يدخر

في ذلك وسعاً، ولا جهداً، ولا مالاً[٣٨].

الخطوة السابعة:

الاهتمام بالصحوة الإسلامية المعاصرة وترشيدها، وتقويم مسارها، وضبط توجهها بضوابط الفهم الصحيح لكتاب الله، والتبصر بسنة نبيه المصطفى ﷺ، والوعي السليم لميراث علماء السلف؛ والأخذ بيدها لترسيخ مفاهيم الإسلام الصحيحة، والتمسك بقيمه الثابتة، وتحكيم شرع الله في الحياة الشخصية الخاصة، والجماعية العامة، العملي منها، والعلمي، لأفراد هذه الأمة وجماعتها. حتى يتسنى لها القيام بدورها الفعال في تنشئة أجيال مسلمة تعي حقيقة دورها في بناء المجتمع المسلم والأمة المسلمة، وتحقيق الحياة الإسلامية الصحيحة بأبعادها الإيمانية كلها.

ولن يتحقق ذلك كله إلا من خلال وعي حقيقي للعلاقة الجدلية بين النص الإسلامي، والواقع الإسلامي، وفهم المسلم بطبيعة دوره في الحياة، ووضوح الفكرة التي يؤمن بها، وتحديد الأهداف التي يسعى إليها، والغايات التي يعمل من أجلها. فالوصول يحتم أن تلتقي حركة الإنسان مع

هدفه، فـإن اختلفتا، أو لـم تلتقيا، وجـد القلق، والاضطراب، والضياع ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(سورة الملك: آية٢٢) .

الحواشي

١- عمر عودة الخطيب. لمحات في الثقافة الإسلامية-ط٣- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. ص(١٣).

٢- مالك بن نبي. مشكلة الثقافة -د.ط- دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م. (ص١٧).

٣- انظر: -أمير عبد العزيز (د). دراسات في الثقافة الإسلامة- مدخل إلى الدين الإسلامي-د.ط- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. (ص٣١-٣٣).

- صالح ذياب هندي. دراسات في الثقافة الإسلامية -ط.٣- عمان: مكتبة النهضة الإسلامية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. (ص٢٠-٢١).

- عبد الواحد محمد الفار(د). الثقافة الإسلامية- دراسة تأصيلية لمضمون الرسالة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة -د.ط- جدة: مكتبة الخدمات الحديثة. د.ت. (ص٣٥-٣٨).

٤- الآمـــدي. الإحكام في أصـــول الأحكام/ ج١/ ١٢٧، حـــاشـــيـــة البـناني على جــمع الجـــوامع، لابن السبكي/ ج٢/ ٨٣.

٥- انظر:- أميــر عبدالعزيز (د). مــرجع سابق، ٣٣-٣٦، صالح ذياب هندي. مرجع سابق، ٢١-٢٣.

٦- ابن تيمــية، أبو العباس أحمــد بن عبد الحليم. مــجموع الفتــاوى، جمع وترتيب: عــبد الرحــمن بن محــمد بن قــاسم العــاصــمي النجـدي الحنبلي -ط.١- الرياض: مطابع الـرياض، د.ت (٦/ ٥٤٢-٥٤٣)؛ اقــتــضــاء الصــراط المستقيم، تحـقيـق: محـمـد حامـد الفـقي -د.ط-بيروت، لـبنان: دار المعرفة لـلطباعة والـنشر، -د.ت- (٢٠٢، ٢٠٧). انظر: -الموافـقات للشــاطبي (٤/ ٢٦).

٧- انظر: أميــر عبــد العزيز (د). مــرجع سابق/ ٣٧-٣٨؛ صالح ذياب هندي. مرجع سابق/ ٢٤-٢٦.

٨- لمزيد من التـفصـيل راجع: ســارة بنت عــبد المحــسن بن جلوي آل سعود (د). قضــية العناية والمصادفة في الفكر

الغربي المعاصر- دراسة نقدية في ضوء الإسلام -ط.١- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٩- المرجع السابق نفسه.

١٠- ألماني تقلد مناصب سياسية مختلفة، حاصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م. كان اسمه: فليفرد هوفمان.

١١- مراد هوفمان. الإسلام كبديل -ط.١- الكويت: مجلة النور، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. (ص٢٥).

١٢- المرجع السابق نفسه/ ٢٧-٢٨.

١٣- محمد شامة (أ.د)، وأخرون. عقائد وتيارات فكرية معاصرة -ط.١- قطر: دار قطري بن الفجاءة، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م. (ص٢٧٤).

١٤- انظر: نادية شريف العمري (د). أضواء على الثقافة الإسلامية -ط.١- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ -١٩٨١م-. (ص٤٤-٤٥)؛ عمر عودة الخطيب.

مرجع سابق/ ١٤٦ وما بعدها؛ زيغرد هونكة. شمس العرب تسطع على الغرب -ط.٧- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

١٥- الدخن: المقصود هنا هو: ما أشار إليه المصطفى ﷺ في حديث حذيفة حين قال له: [قوم يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي] -خرجه البخاري ومسلم- والمقصود به: الانحراف عن مصادر التلقي الأصلية، المفهومات الإسلامية الصحيحة.

١٦- عمر عبيد حسنة. مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي -ط.١- قطر: كتاب الأمة، ١٤١١هـ. (التقديم/ ١٠).

١٧- المرجع السابق نفسه/ ٢٧.

١٨- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. الجامع الصحيح "السنن". تحقيق: الشيخ إبراهيم عطوه عوض -د.ط- القاهرة: دار الحديث. د.ت. (كتاب العلم ٤٢/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.

١٩-٢٦٨٧/ م٥/ ٥١ " عن طريق أبي هريرة - حديث غريب").

١٩- عمـــر عودة الخطيب، مرجع سابق/ ١٤٤ ومـــا بعدها.
انظر: أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية -ط.٣- الكويت: دار القلم. القاهرة: دار الأنصار، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. (ص:٧ وما بعدها).

٢٠- أستـــاذ علم الحكم، ومدير مـــعهـــد (جون. م. أولين) للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية.

٢١- نشرت هذه (النظرية) في مـــجلة (فورن أفيـــرز)، ضمن مـــشروع مـــركـــز أولين للدراســـة: (مناخ الأمن المتـــغيـــر والمصالح الأمريكية القومية). نقلاً عن: صحيفة الشرق الأوسط العدد (٥٨٩٨-السبت ٢١/ ١/ ١٩٩٥).

٢٢- عمر عـــبيد حسنه. مقالات في الدعـــوة (مرجع سابق) ٩-٢٤ (بتصرف).

٢٣- عـــبـــد القـــادر طاش (د). إضـــاءات حـــول الإعـــلام الإســـلامي. مقـــالة في كـــتـــاب: (مقـــالات في الدعـــوة والإعلام الإسلامي) ٣٦-٣٧.

٢٤- أوليفييرا روا. تجربة الإسلام السياسي. ترجمة: نصير مروة -ط.١- لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م (ص١٨٧).

٢٥- مجموعة من المؤلفين. عقائد وتيارات فكرية معاصرة، مرجع سابق/ ٢٠٥-٢٠٦.

افتتحت هذه الهيئة مراكز لها في كل من:

أ- البحرين: ٤ مراكز (مستشفى الإرسالية الأمريكية.. مدرسة الإرسالية الأمريكية.. مكتبة العائلة المقدسة.. الكنيسة الإنجيلية الوطنية).

ب- الكويت: مركزين (مكتبة العائلة المقدسة.. المكتبة الإنجيلية الوطنية).

ج- عمان: ٣ مراكز (الكنيسة البروتستانتية.. مكتبة العائلة المقدسة.. مدرسة الإرسالية الأمريكية).

٢٦- عبد الله النفيسي(د). العمل النسائي في الخليج الواقع والمرتجى -ط.١- الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع. ١٩٨٦م. (ص١٧).

٢٧- انظر: سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود(د). العمل الإسلامي النسوي واقع وآفاق. (محاضرة ضمن كتاب (السطحية وغياب الهدف).

٢٨- سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود (د). تغييب العقل المسلم. (محاضرة) ضمن كتاب (السطحية وغياب الهدف).

٢٩- سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود(د). فتاتنا الجامعية والمهمة الغائبة (محاضرة) ضمن كتاب (السطحية وغياب الهدف).

٣٠- راجع نظرية (صدام الحضارات) للبروفيسور صموئيل هنتنجتون؛ ومقال: (الاختراق الخطير الذي يهدد الغرب) للكاتبة: كلير هولنجوورث. صحيفة (نيويورك تايمز- ٩ سبتمبر ١٩٩٣م).

٣١- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ ٢٠٨.

٣٢- نادية العمري (د). مرجع سابق/ ٤٩-٥٠.

٣٣- عبد الحليم عويس (د). ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة/ ٢٥.

٣٤- سارة بنت عبد المحسن (د). فتاتنا الجامعية والمهمة الغائبة.

٣٥- سارة بنت عبد المحسن (د). السطحية وغياب الهدف. (محاضرة). ضمن كتاب (السطحية وغياب الهدف).

٣٦- عبد القادر طاش (د). مرجع سابق/ ٣٧-٣٨ (بتصرف).

٣٧- سيد رزق الطويل (د). شعيرة الأذان ودروس في الإعلام الإسلامي: مقالة في كتاب (مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي)/ ٧١.

٣٨- سارة بنت عبد المحسن (د). قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر- مرجع سابق-/ ٨٧٤- ٨٧٥.

الفهرست

الموضوع	الصفحة

١ - مفهوم الثقافة.................... ٧

٢ - العلاقة الجدلية بين الثقافة الإسلامية والثقافة

الغربية في الماضي والحاضر ٢٩

٣- ثقافة دول الخليج العربي............... ٤١

٤ -المرأة المسلمة وصراع الثقافات.......... ٥٣

٥ - ثقافتنا الإسلامية هي الحل............. ٦١

٦ - الحواشي....................... ٧٥

٧ - الفهرست ٨٣